مجلة جامعة دمشق للعلوم القانونية

اسم المقال: العلاقة بين العلوم الطبيعية والإلحاد "ريتشارد دوكينز" أنموذجاً
اسم الكاتب: عمر وردة، د. حسان القاري
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/10244
تاريخ الاسترداد: 2026/05/12 01:04 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للعلوم القانونية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

مجلة جامعة دمشق للعلوم القانونية
المجلد 3 (2) – 2023 : 72-93

Damascus University Journal of Legal Sciences
Vol 3 (2)- 2023:72-93

العلاقة بين العلوم الطبيعية والإلحاد
"ريتشارد دوكينز" أنموذجاً

عمر وردة[1]، د. حسان القاري[2]

1. طالب دراسات عليا (دكتوراه)، قسم العقائد والأديان، كلية الشريعة، جامعة دمشق
2. أستاذ مساعد، قسم العقائد والأديان، كلية الشريعة، جامعة دمشق

الملخص:

يرتكز الإلحاد المعاصر في منهجه على فكرة العِلموية، والتي تزعم بأن العلم الطبيعي وحده كاف للكشف عن حقائق الأشياء، وأن لا حقيقة أو معنى أو هدف كامن وراء ما يكشفه العلم التجريبي، وأن الدين أو التصوف أو الميتافيزيقيا هي أشكال من الظلامية التي تتعارض مع المنهج العلمي.

وهذا ما يؤكده دوكينز باستمرار وبقوة، حيث يفترض تحالفاً دائماً بين العلوم والإلحاد، من خلال اللجوء إلى العلوم الطبيعية، وخاصة علم الأحياء التطوري.

إلا أن نُقَّاد موجة "الإلحاد الجديد"، يصرُّون على ما تنطوي عليه من تناقض متأصل، وخاصة إصرارها على أهمية "الدليل"، فبينما يُقدم الإلحاد باعتباره الاستنتاج المنطقي الوحيد الممكن، من سلسلة المقدمات البديهية، ينبّه كثير من فلاسفة العلم، على أن أساسه النهائي هو في الواقع استدلالي، وبالتالي فهو مسألة غير مؤكدة، فقد فحص الآخرون الأدلة نفسها وتوصلوا إلى استنتاجات مختلفة.

تاريخ الايداع 2021/9/30
تاريخ القبول 2022/2/30

حقوق النشر: جامعة دمشق سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب **CC BY-NC-SA**

وأصبح من السائد في أوساط المجتمع العلمي، أن المنهج العلمي المجرد لا يمكن أن يفصل في مسألة وجود الله، وأن الإلحاد العلمي مضطر إلى إحداث قفزة من اللاإرادية إلى الإلحاد، وأن الذين يؤمنون بالله إنما يَصِلُون إلى استنتاجاتهم الدينية، استناداً إلى أسباب أخرى، فالعلم المجرد يلائم الرؤية الكونية والدينية، وهو قادر على استيعاب كل من وجهات النظر الإيمانية والإلحادية على حد سواء.

الكلمات المفتاحية: العلم، الإيمان، الإلحاد، دوكينز

The relationship between natural sciences and atheism "Richard Dawkins" as a model

Omar Warda[1], Dr.Hassan al-Qari[2]
1.Postgraduate student (PhD), Department of Beliefs and Religions, College of Sharia, Damascus University
2.Assistant Professor, Department of Beliefs and Religions, College of Sharia, Damascus University

Received:30/9/2021
Accepted: 30/2/2022

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a
CC BY- NC-SA

Abstract

Contemporary atheism is based in its approach on the idea of scientism, which claims that natural science alone is sufficient to reveal the facts of things, and that there is no truth, meaning or purpose behind what experimental science reveals,and that religion, mysticism, or metaphysics are forms of obscurantism that contradict the scientific method.

This is what Dawkins asserts constantly and forcefully, as he assumes a permanent alliance between science and atheism, by resorting to the natural sciences, especially evolutionary biology.

However, critics of the "new atheism" wave insist on its inherent contradiction, especially its insistence on the importance of 'evidence'. While atheism is presented as the only possible logical conclusion, from a series of axiomatic premises, many philosophers of science have alerted that its basis The final is in fact inferential, and therefore an uncertain matter, others have examined the same evidence and come to different conclusions.

It has become prevalent among the scientific community that the abstract scientific method cannot separate the issue of the existence of God, and that scientific atheism is compelled to make a leap from agnosticism to atheism, and that those who believe in God only reach their religious conclusions based on other reasons,so abstract science It fits a cosmological and religious view, and is capable of accommodating both theistic and atheistic viewpoints alike.

Keywords: Science, faith, atheism, Dawkins

المقدمة:

بينما كان التفسير العلمي للعالم يستخدم للدعوة إلى المنظور الديني، شهد أواخر القرن العشرين اتجاهاً متنامياً، لاستخدامه كسلاح ضد المعتقد الديني، وغالباً ما تمت الإشارة إلى أن الإلحاد هو الدين المثالي للعصر الحديث، الذي يعكس أفكاره وقيمه وأجنداته.

إن الطفرة الأخيرة لأعمال التبشير الإلحادي تنصب بشكل أساسي على العلوم الطبيعية، حيث يؤكد دوكينز بأن العلم قد أزاح الله عن الساحة العامة، وأزاله إلى هامش ثقافتنا، وأنها مسألة وقت فقط، قبل أن يدفع التقدم العلمي الدؤوب بـ "الله"، بعيداً عن العقل البشري، وعندها سيكون العالم مكاناً أفضل.

هذا باختصار هو التصور الشائع، للرسالة المأخوذة من كتابات المدافع العلمي الشهير في أكسفورد ريتشارد دوكينز، وفي هذا المقال أريد أن أطرح بعض الملاحظات الأساسية حول هذا التصور الشائع، وأقترح القيام بذلك من خلال الانخراط مباشرة في كتابات دوكينز نفسه.

ولا بد من أن أؤكد أنه ليس في نيتي انتقاد علم دوكينز؛ فهذا في النهاية هو مسؤولية المجتمع العلمي ككل، بل إن هدفنا هو استكشاف الصلة الإشكالية العميقة، التي يفترضها دوكينز – وفي أحيان أخرى يدافع عنها – بين المنهج العلمي والإلحاد.

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في تركيزه على العلاقة الجدلية بين العلوم الطبيعية والدين بشكل خاص، وفي محاولة الباحث التحري من صحة الادعاء، بأن العلم يتعارض مع الإيمان، أو أنه يستلزم الإلحاد بالضرورة، ثم بتسليطه الضوء حول فلسفة العلم، وانعكاساتها إزاء هذه الجدلية.

أهداف البحث

يستكشف هذا البحث الارتباط المزعوم، بين العلوم الطبيعية والإلحاد، في أعمال دوكينز الأخيرة للدفاع عن الإلحاد، وكيف تنتهك العلوم الطبيعية لتعزيز التشدُّد الإلحادي، وتقديم تقييم لتأثيره على الفهم الشائع للداروينية في أوائل القرن الحادي والعشرين.

منهج البحث

إن المفتاح لفهم الإلحاد الجديد هو أنه لا يقوم على أساس علمي، والنهج الذي سأعتمده في هذه المقالة بسيط، أريد أن أتحدى الرابطة الفكرية بين العلوم الطبيعية والإلحاد، التي تشبع كتابات دوكينز، حيث

ينطلق من نظرية التطور الداروينية، إلى رؤية عالمية إلحادية واثقة، ويبشر بها كما يبدو في كثير من الأحيان، بحماسة إيمانية ويقين لا يقهر، وسأتبع في ذلك المنهج التحليلي النقدي.

خطة البحث :

يستعرض الباحث هذه الإشكالية من خلال مقدمة وستة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: موقف ريتشارد دوكينز من الدين

المبحث الثاني: النظرية الداروينية والرؤية الإلحادية للعالم

المبحث الثالث: حدود المنهج العلمي

المبحث الرابع: السلطة العلمية المتداخلة بين العلم والإيمان

المبحث الخامس: العلم والإيمان والإثبات بالأدلة

المبحث السادس: الإيمان والعلم بين الاستدلال الاستنتاجي والدليل التجريبي

المبحث الأول:

موقف ريتشارد دوكينز من الدين:

في جميع كتابات دوكينز، يتم تصوير الناس المتدينين كشياطين، غير أمناء، وكذابين، وأغبياء، وغير قادرين على الاستجابة بصدق للعالم الحقيقي، وأنهم يفضلون ابتكار عالم زائف خبيث وخادع؛ لإغراء الشباب المغفلين والسذج.

ويذكر "دوجلاس آدامز"[1] حديث دوكينز ذات مرة قائلاً: "أنا لا أعتقد حقاً أنني متعجرف، لكني لا أتحلى بالصبر مع الأشخاص الذين لا يشاركونني نفس التواضع أمام الحقائق".[2]

وفي مراجعته لكتاب "قسيس الشيطان"، أشار الفيلسوف "مايكل روس"[3] إلى "تحول اهتمام دوكينز من الكتابة عن العلم لجمهور شعبي، إلى شن هجوم شامل على الدين"، وأصبح المروّج العلمي اللامع، مجادلاً متوحشاً مناهضاً للدين، يُبَشِّر بدلاً من أن يناقش قضيته.

[1] مؤلف وروائي وكاتب سيناريو وفكاهي، وهاجٍ ومؤلف درامي.

[2] ريتشارد دوكينز يتحدث عن الإلحاد بحماسة مسيانية، ناشيونال بوست 25 نوفمبر 2003م.

[3] فيلسوف علمي متخصص في فلسفة البيولوجيا وهو معروف جيداً بأعماله المتخصصة في العلاقة بين العلم والدين، وترسيم الحدود في مجال العلوم.

وبينما يكتب دوكينز بحنكة وسعة اطلاع حول قضايا البيولوجيا التطورية، بعد أن أتقن تعقيدات مجاله وأدبها البحثي الواسع، نجده عندما يأتي للتعامل مع أي شيء له علاقة بالله، وكأننا ندخل عالماً مختلفاً، حيث يتم التخلي عن الاستدلال الدقيق القائم على الأدلة، ويتم استبداله بالخطاب الانفعالي والمبالغات الساخنة والحماسية، مع بعض التبسيطات المفرطة الأخاذة والتحريف العَرَضي؛ لإثبات بعض النقاط المعقولة ظاهرياً. والأهم من ذلك، أن دوكينز فشل في إثبات الضرورة العلمية للإلحاد، ومن المفارقات أن إلحاده نفسه يظهر كإيمان، يمتلك درجة ملحوظة من التماثل المفاهيمي للإيمان بالله.[1]

المبحث الثاني:

النظرية الداروينية والرؤية الإلحادية للعالم:

إن الرؤية الداروينية للعالم – بالنسبة لدوكينز– تجعل الإيمان بالله غير ضروري أو مستحيل، وعلى الرغم من التلميح لذلك في الجين الأناني، فقد تم تطوير هذه الفكرة بالتفصيل في صانع الساعات الأعمى، ويؤكد دوكينز أن قبول نظرة داروين للعالم يستلزم الإلحاد، وأن الداروينية جعلت الله زائداً عن الحاجة أو مستحيلاً فكرياً، وعلى الرغم من أن هذا الموضوع يتخلل كتاباته، إلا أنه يمكن العثور عليه بالتفصيل في صانع الساعات الأعمى.[2]

يقول دوكينز بأنه قبل داروين، كان من الممكن رؤية العالم كشيء مُصمَّم من قبل الله، ولكن بعد داروين، لا يمكننا الحديث إلا عن "وهم التصميم"، فليس للعالم الداروينى أي هدف، ونحن نخدع أنفسنا إن اعتقدنا بخلاف ذلك، وإذا لم يمكن وصف الكون بأنه "خير"، فعلى الأقل لا يمكن وصفه بأنه "شر" أيضاً.

فـ "الكون الذي نلاحظه، له بالضبط الخصائص التي يجب أن نتوقعها لو لم يكن هناك في الواقع، لا تصميم، ولا هدف، ولا شر ولا خير، ولا شيء سوى اللامبالاة العمياء القاسية".[3]

ولكن الآخرين يُصِرُّون على أنه يبدو بالفعل، أن هناك "هدفاً" للأشياء، ويستشهدون بالتصميم الظاهر للأشياء الداعمة، وكما يجادل هؤلاء النقاد، فإن التركيب المعقَّد للعين البشرية، يشير إلى شيء لا يمكن تفسيره بالقوى الطبيعية، ما يضطرنا لاستدعاء خالق إلهي من خلال التفسير، وإلا كيف يمكننا أن نفسر

[1] راجع ماكغراث أليستر، إله دوكينز، وهو كتاب قيد الترجمة لكاتب البحث.

[2] انظر مقال أليستر ماكغراث (الاستخدامات الأيديولوجية للبيولوجيا التطورية في الدفاع عن الإلحاد الجديد أليستر ماكغراث) البيولوجيا والايديولوجيا 329

[3] Dawkins, R. *River out of Eden: A Darwinian View of Life*, London: Phoenix (1995), p. 133.

الهياكل الواسعة والمعقَّدة التي نلاحظها في الطبيعة؟

تكمن إجابة دوكينز بشكل أساسي في عملين هما: "صانع الساعات الأعمى"، و"صعود جبل اللا احتمال"، والحجة الأساسية المشتركة بينهما، هي أن الأشياء المعقَّدة تتطور من بدايات بسيطة، على مدى فترات طويلة من الزمن.[1] وما قد يبدو أنه تطوُّرٌ بعيد الاحتمال، يحتاج إلى وضعه على خلفية الفترات الزمنية الهائلة، التي تتصوَّرها العملية التطورية.

ويحاول دوكينز إثبات هذه النقطة، باستخدام صورة مجازية "جبل اللا احتمال"، فبالنظر من زاوية واحدة، يبدو من المستحيل تسلق "المرتفعات العمودية الشاهقة"، ولكن بالنظر من زاوية أخرى، يتبين أن الجبل يحتوي على "مروج عشبية منحدرة بلطف، ومتدرجة بثبات وسهولة نحو المرتفعات البعيدة".[2]

ويزعم دوكينز بأن "وهم التصميم"، ينشأ لأننا نعتبر بشكل بديهي الهياكل معقَّدة للغاية، بحيث لا يمكن أن تنشأ عن طريق الصدفة، ويفند مثال العين البشرية، الذي يستشهد به بعض المدافعين عن التصميم الإلهي، والخلق الخاص المباشر للعالم، كدليل أكيد على وجود الله، في أحد فصول كتابه "تسلق الجبل اللااحتمال، حيث يوضح دوكينز كيف أن مثل هذا العضو المعقَّد، يمكن أن يتطور من شيء أبسط بكثير، مع إعطائه الوقت الكافي.[3]

إلا أن كبار علماء الفيزياء من أمثال "جون بولكينغورن"، يجدون أنه من المستحيل الاعتقاد بأن مثل هذا الضبط الدقيق والتواتر الظاهر الذي يتكرر به، يمكنه أن يكون وليد مصادفة، ويطرحون أرقاماً حول عدم احتمالية هذا الأمر، بمقدار واحد من عشر أمثال يعقبها أربعون صفراً!!. ويضيفون على ذلك أن هذا التصميم يتضمن بالضرورة وجود مصمم ذكي ذي قصد وإرادة، إلى الحد الذي جعل "ديل كوهلر" يكتب قائلاً: "كنا نقشط الحقيقة الطبيعية الفيزيائية كل تلك القرون، والآن الطبقة القليلة التي بقيت والتي لا نفهمها، رقيقة جداً بحيث أن وجه الله غدا يحدق إلينا مباشرة".[4]

وفي كتابه "أيقونات التطور" يشير جوناثان ويلز في نقده للداروينية، إلى أنه لا يوجد دليل على الإدعاءات العريضة والواسعة لتلك النظرية، ويصر وبكل تأكيد على أن إدعاء الداروينية، بأن البشر

---

[1] راجع دوكينز ريتشارد الداروينية الجديدة صانع الساعات الأعمى 73

[2] Dawkins, R. *Climbing Mount Improbable*, London: Viking (1996), p. 64.

[3] Dawkins, R. *Climbing Mount Improbable*, London: Viking (1996), p.126-179.

[4] انظر لماذا الدين ضرورة حتمية 230-231

نتاج عرضي وثانوي، لعملية طبيعية وغير موجهة، ليس استدلالاً علمياً ولكنه وجهة نظر فلسفية فحسب.[1]

ولكنها الداروينية القياسية، والجديد هو وضوح العرض، وتوضيح هذه الأفكار والدفاع عنها بشكل مفصل، من خلال دراسة حالة مختارة بعناية وقياسات مصاغة بحذر، حيث ينظر دوكينز إلى الداروينية بوصفها رؤية عالمية، وليس بوصفها نظرية بيولوجية، فهو لا يتردد في أخذ حججه إلى ما هو أبعد من حدودها البيولوجية البحتة، أما كلمة "الله" فهي غائبة عن فهرس صانع الساعات الأعمى على وجه التحديد؛ لأنه غائب عن العالم الداروينى الذي يسكنه دوكينز ويشيد به.[2]

فالعملية التطورية – حسب دوكينز – لا تترك أي مساحة مفاهيمية لله، وما فسره جيل سابق من خلال التماس الخالق الإلهي، يمكن استيعابه في إطار داروينى، فلا حاجة للاعتقاد بالله بعد داروين.

والحقيقة أن الداروينية تترك الباب مفتوحاً على مصراعيه، أمام كل من القراءة الدينية أو الإلحادية للأشياء، أي أنها تسمح بهما، ولكن لا تستلزم أياً منها، لكن دوكينز لا يترك الأمور هنا، فبالنسبة له فإن داروين يدفعنا إلى الإلحاد، وهنا تبدأ الأمور في الإشكال، ويشير ماكغراث في كتابه "إله دوكينز"، إلى وجهة نظر "غولد" المنصفة والمقبولة على نطاق واسع: "إن تفسير الطبيعة ممكن بأسلوب إيماني أو إلحادي، لكنها لا تستلزم أياً من الاثنين، فكلاهما ينبثقان من احتمالات فكرية حقيقية للعلوم. كما يشير إلى رفض غولد لأي محاولة صارخة للامتياز العلمي مع اعتقاد إلحادي.[3]

ومع ذلك يقدم دوكينز الداروينية باعتبارها طريقاً فكرياً فائقاً للإلحاد، وفي الواقع يبدو أن المسار الفكري الذي رسمه دوكينز، عالق في شرك اللاأدرية، وبعد أن توقف بقي هناك، وثمة فجوة منطقية كبيرة بين الداروينية والإلحاد، والتي يبدو أن دوكينز يفضل جسرها بالبلاغة بدلاً من الأدلة.

[1] انظر لماذا الدين ضرورة حتمية 235–237

[2] الفهرس بالتأكيد ليس شاملاً، لكن هذا الإغفال يسترعي الانتباه.

[3] انظر وهم دوكينز 34

المبحث الثالث:

حدود المنهج العلمي:

يتفق الجميع على أن العلم هو أحد أكثر أشكال المعرفة التي نمتلكها أماناً، ودوكينز محق في الثناء على العلوم؛ لقدرتها على تقديم إجابات واضحة وموثوقة، لبعض الأسئلة المهمة، مثل كيف يتم نقل المعلومات الجينية؟ وكيف نعرف بنية الحمض النووي؟ الجواب بسيط: لأن هذا ما يخبرنا به الدليل العلمي، ولا أحد يجادل في ذلك.

ولكن ماذا حيال الأسئلة الأخرى؟ وماذا عن مسألة الله؟ أو عن وجود هدف داخل الكون؟ أو وجود معنى في الحياة؟ وهي أسئلة مهمة، لكن هل يمكن للعلم أن يجيب عليها؟

يجيب دوكينز بأن العلم لا يكشف عن أي معنى للحياة، ولذلك لا يوجد معنى للحياة، فهل هذا صحيح؟ وهل الحقيقة هي فقط كل ما يشكفه العلم الطبيعي، وما لا يمكن أن يثبته العلم فهو وهم نفسي؟

يتشكل أساس حجة دوكينز من الافتراض الغير معلن والغير مختبَر، وهو أن المنهج العلمي قادر على الحكم على كل شيء، لقد رفضت العقائدية الوضعية كل هذه الأسئلة، باعتبارها أسئلة زائفة، ويجسد "وهم الإله" تلك الوضعية، فالشيء الذي لا يمكن رؤيته أو وصفه، بواسطة العلوم الطبيعية ليس حقيقي، والنتيجة بسيطة للغاية: إن الإيمان بالله، أو أي فكرة يُعتقد أنها تقع خارج نطاق الطبيعة مرفوضة؛ لأنها تفتقر إلى أساس علمي.[1]

ولكن فلسفة العلم الحديثة – ولا سيما أشكال الواقعية النقدية السائدة حاليا في هذا التخصص – تُصِرُّ على ضرورة التمييز الدقيق بين القضايا المعرفية والأنطولوجية، أي بين كيفية معرفة شيء ما، وما إذا كان هذا الشيء موجوداً بالفعل، إن الموقف الواقعي النقدي يرى أن شيئاً ما يمكن أن يكون موجوداً، دون أن نكون على دراية به، فليس من الضروري رؤية شيء قبل وجوده.

ويقول "روي بهاسكار"،[2] المدافع الأكثر أهمية عن "الواقعية النقدية"، إن الكثير من الخطأ في فلسفات العلم القديمة، ينتج عن الخلط الفادح بين المعرفة وعلم الوجود، ويصف بهاسكار هذه الأخطاء بأنها "مغالطة معرفية"، تقوم على افتراض خاطئ بأن هياكل العالم تعتمد على الملاحظة البشرية، فالواقع بالنسبة لبهاسكار لا يعتمد على الملاحظة البشرية ليدخل إلى حيز الوجود، فهو موجود بالفعل، والسؤال

---

[1] تجديد الطبيعة وإنكار الدين 177

[2] مؤلف وأستاذ جامعي وفيلسوف من المملكة المتحدة.

هو كيف ندركه، ونعرف ما هو موجود بالفعل، قبل أن يصبح معروفاً، وقد لا نتمكن من رؤيته، ولكن هذا لا يسمح لنا باستنتاج أنه ليس موجوداً.[1]

وقد كتب بيتر مداور، أحد ألمع علماء أكسفورد، والحائز على جائزة نوبل في الطب لعمله في علم المناعة، مقالاً بعنوان حدود العلم، يتأمل فيه مسألة كيف أن نطاق العلم مقيد بطبيعة الواقع، حيث يؤكد مداور على أن "العلم هو المشروع الأكثر نجاحاً الذي انخرط فيه البشر على الإطلاق"، ثم يميز بين ما يسميه "الأسئلة المتعالية"، والتي يجب الإجابة عليها بواسطة الدين والميتافيزيقا، و"الأسئلة حول تنظيم وبنية الكون المادي".

وفيما يتعلق بالأخير، يرى مداور أنه لا توجد حدود لإمكانيات الإنجاز العلمي، وبالتالي فهو يتفق مع دوكينز، ولكن فقط من خلال تحديد المجال الذي تمتلك فيه العلوم مثل هذه الكفاءة والحد منه.[2]

فما تجيب عنه الفلسفة أو الدين هو تلك الأسئلة "المعيارية"، المتعلقة بموضوع القيمة – التي تتناول ما يجب أن يكون عليه الحال، وما الذي يجب علينا فعله في علم الأخلاق والجمال، أما العلوم فهي "وصفية"، أو كما يقال عنها "وضعية"، وليست معيارية. والعلوم الاجتماعية أو الطبيعية لا تتعرض لوجهات النظر المعيارية التي عسانا نعتنقها، لا بالتحدي ولا بالدفاع، فهذه من مهام الفلسفة.[3]

إن بؤرة البحث العلمي هي العالم المادي، ومحور اللاهوت هو الله، وينبغي أن يظل المبحثان منفصلين، ولا يجوز لأي منهما أن ينتهك مجال الآخر، فأحكام العلماء على الدين ومزاعم المتدينين، بأن الكتاب المقدس يحوي معلومات لا تخطئ عن البنى الخفية للطبيعة، لا ينجم عنها سوى أسوأ أنواع التشويش، وقد كان جاليليو يدرك ذلك تماماً، فقد كان يقصر تعليقاته على "الاستنتاجات الفيزيقية، المؤسسة على التجربة الحسية والملاحظات الدقيقة جداً، لكنه رأى أنه في الحالات التي لا نصل فيها إلى برهان قاطع، فينبغي أن نسلم بمرجعية الإنجيل.[4]

وهكذا فلا يمكن للعلم أن يخبرنا ما إذا كان هناك إله، ولا يمكن أن يخبرنا عن سبب وجودنا هنا – على

---

[1] انظر تجديد الطبيعة وإنكار الدين 178–179

[2] انظر وهم دوكينز 39

[3] تتعامل الفلسفة مع فئتين من الأسئلة: الأولى هي الأسئلة التي لا يستطيع العلم – الفيزيائي والبيولوجي والاجتماعي والسلوكي– الإجابة عنها، وربما لن يتمكن أبداً من الإجابة. والثانية هي الأسئلة التي تدور حول السبب في عدم تمكن العلوم الآن وربما إلى الأبد، من الإجابة عن الفئة الأولى من الأسئلة. انظر فلسفة العلم 16–17

[4] انظر الله لماذا 288

الرغم من أنه قد يحتوي على بعض الأفكار المهمة حول كيفية حدوث ذلك – فعندما يتعلق الأمر بمسائل المعنى والهدف والقيمة، فإن العلم أعمى، وهذا ليس انتقاداً للعلم، بل إنه مجرد اعتراف بحدوده واحترامها.

المبحث الرابع:

السلطة العلمية المتداخلة بين العلم والإيمان:

يقول بعض علماء الأحياء المتميزين، مثل "فرانسيس كولينز" مدير مشروع الجينوم البشري، بأن العلوم الطبيعية تخلق قرينة إيجابية للإيمان؛[1] وآخرون مثل عالم الأحياء التطوري "ستيفن جاي غولد" بأن لها آثاراً سلبية على الاعتقاد الديني، لكنهم لا يثبتون شيئاً في كلتا الحالتين، وهذه ليست فكرة جديدة، فقد كان الاعتراف بحدود المنهج العلمي، مفهوماً جيداً في وقت قريب من داروين نفسه، فقد كتب "هكسلي"، في عام 1880م:[2]

"منذ حوالي عشرين عاماً، أو نحو ذلك، اخترعت كلمة "اللاأدري" للإشارة إلى أشخاص مثلي، يعترفون بأنهم جاهلون بمجموعة متنوعة من الأمور، والتي يَدَّعِيها الميتافيزيقيون واللاهوتيون، سواء التقليديون أو غير التقليديون، بثقة مطلقة".

لقد ضاق هكسلي ذرعا بكل من المؤمنين والملحدين، الذين يطلقون تصريحات دوغمائية، على أساس أدلة تجريبية غير كافية، وأعلن أنه لا يمكن تسوية مسألة الله على أساس المنهج العلمي.[3]

لكن دوكينز يعتقد بوجود سلطة علمية واحدة فحسب، هي الواقع التجريبي، وأنه الواقع الوحيد الموجود، وأن فكرة السماح لعلم اللاهوت بالتحدث عن أي شيء، هي فكرة "شائنة".[4]

ويمكن أن نجد موقفاً أكثر توسطاً وحكمة، في فهم الارتباط بين العلم والإيمان، والذي يجسده كل من ماكغراث وكولنز، حيث يرى الاثنان أن هناك خياراً ثالثاً وهو "السلطة العلمية المتداخلة جزئياً"؛ والتي تعكس

---

[1] Collins, F.S. 'Faith and the Human Genome', *Perspectives on Science and Christian Faith* (2003) 55, 142-153.

[2] See his 1883 letter to Charles A. Watts, publisher of the *Agnostic Annual*. For further comment, see Brown, A.W. *The Metaphysical Society: Victorian Minds in Crisis, 1869-1880* London: Oxford University Press (1947).

[3] انظر الله لماذا 384

[4] انظر وهم دوكينز 41، ووهم الإله 56

إدراكاً بأن العلم والدين يُقدمان احتمالات التلاقح، على حساب تداخل مواضيعهما وأساليبهما، وأفضل من يمثل وجهة النظر هذه "فرانسيس كولنز"[1] عالم البيولوجيا التطورية ورئيس مشروع الجينوم البشري الشهير.[2]

يتحدث كولنز عن انسجام مُرْضٍ للغاية، بين وجهات النظر العالمية العلمية والروحية، ويقول: "إن مبادئ الإيمان متكاملة مع مبادئ العلم". وهذه المقاربة حول "السلطة التعليمية المتداخلة" هي من باب فلسفة "الواقع الحرج"، الذي لديه أثر حالياً في تسليط الضوء باتجاه العلاقة بين العلوم الطبيعية والاجتماعية.[3]

وفي نقده لعمل افترض أن الداروينية كانت إلحادية بالضرورة، يقول ستيفن جاي غولد: "أقول لجميع زملائي مراراً وللمرة المليون، لا يمكن للعلم المجرَّد – من خلال طرقه المشروعة – أن يفصل في مسألة الإشراف – أي التدبير والقيومية – المحتمل لله على الطبيعة، نحن لا نستطيع إثباته ولا نفيه، نحن ببساطة لا نستطيع التعليق عليه كعلماء.

وهكذا يُصِرُّ غولد على أن العلم، لا يمكن أن يعمل إلا مع التفسيرات الطبيعية؛ ولا يمكنه أن يؤكد أو ينكر وجود الله؛ لأن البحث العلمي لا ينطبق إلا على تفسير كل ما هو طبيعي، ولا ينطلق غولد من وازع ديني؛ لأنه كما يصف نفسه شخص "لا أدري"، ويشير غولد إلى أن داروين نفسه أنكر إلحاده، وأن من اعتنقوا نظرية داروين من الشخصيات البارزة، كانوا إما مؤمنين أو لا أدريين؛ لذا فلا يبدو الإلحاد نتيجة حتمية لقبول نظرية التطور، وأن المؤمنين بنظرية التطور الذين تشددوا في التعصب لآرائهم – ومنهم دوكينز– كانوا يتجاوزون حدود العلم الصحيحة، ويضغطون على هذا المنهج خارج حدوده المشروعة والمناسبة.[4]

فالطبيعة وفق وجهة النظر الواسعة الانتشار داخل المجتمع العلمي، هي متناقضة دينياً، وهذا يعني أن الدراسة المنفصلة أو المحايدة للنظام الطبيعي، قادرة على أن تقود إلى الإلحاد الطبيعي، بقدر ما هي قادرة على أن تقود إلى اللاهوت الطبيعي.[5]

وبالتالي فإن العلوم الطبيعية ليس لديها ما تقوله، فيما يتعلق بوجود الله أو عدمه؛ وذلك لأن أجندة العلوم الطبيعية المدفوعة بالملاحظة مقيدة، من خلال منهجيتها الذاتية، للتعامل فقط مع الواقع المدرَك بشكل حسي.[1]

---

[1] عالم وراثة طبية أمريكي، مشهور باكتشاف الجينات المرتبطة بعدة أمراض وراثية، وكان له دور قيادي في مشروع الجينوم البشري. ويشغل منصب مدير معاهد الصحة الوطنية الأمريكية في بيثيسدا، ماريلاند، الولايات المتحدة.

[2] انظر وهم دوكينز 41

[3] انظر المرجع السابق 42، ولغة الإله 6

[4] انظر الله لماذا 459

[5] البيولوجيا والإيديولوجيا 350

المبحث الخامس:

العلم والإيمان والإثبات بالأدلة:

قدم دوكينز في "الجين الأناني" – وخاصة أفكاره حول "ميم الإله"[2] – بعض المحاولات المشوشة لفهم فكرة "الإيمان"، دون إنشاء أساس تحليلي ودون تقديم دليل مناسب لتأملاته.

وترتكز الحجج الأساسية في كتاب ريتشارد دوكينز "وهم الإله"، على أن الإيمان الديني غير عقلاني، وأنه "عملية اللا تفكر"، وأن الدين يقدم تأكيدات تستند إلى الإيمان، والذي يمثل تراجعاً عن الالتزام الصارم بالحقيقة، القائمة على الأدلة. هذه العبارات تتكرر في كتابات دوكينز، فبالنسبة له فإن الحقيقة تقوم على دليل صريح؛ وأي شكل من أشكال الظلامية، أو التصوف المبني على الإيمان يجب مقاومته بقوة، ويؤكد دوكينز أن الإيمان الديني "يعني الثقة العمياء في غياب الأدلة، وحتى بالرغم من الأدلة"،[3] وهو أمر يتعارض تماماً مع المنهج العلمي.

إن تركيز دوكينز على التفكير القائم على الأدلة، قاده إلى تبني موقف نقدي قوي تجاه أي معتقدات، لا تستند بشكل كافٍ إلى ما يمكن ملاحظته، يقول دوكينز: "بصفتي محباً للحقيقة، فأنا أشك في المعتقدات الراسخة بشدة، والتي لا تدعمها الأدلة".[4] وأحد معتقداته الأساسية، التي تتكرر باستمرار في كتاباته، أن الإيمان الديني هو "ثقة عمياء في غياب الأدلة، وحتى بالرغم من الأدلة"،[5] وهذا يتناقض مع العلوم الطبيعية، التي تقدم نهجاً قائماً على الأدلة للعالم، لكن هل الأمر حقاً بهذه البساطة التي يطرحها دوكينز؟

فلنبدأ بالنظر إلى تعريف دوكينز للإيمان، ونسأل من أين يأتي؟ يقول دوكينز إن الإيمان "يعني الثقة العمياء في غياب الأدلة، وحتى برغم أنف الأدلة"، ولكن هل يتعين علينا أن نقبل تعريف دوكينز

---

[1] تجديد الطبيعة وإنكار الدين 169–170

[2] "الميم" هو المكرر الثقافي، وقد ابتكر دوكينز هذا المفهوم للإشارة إلى أن فكرة "الإله" هي موروث ومكرر ثقافي.

[3] Dawkins, R. The Selfish Gene, 2nd edn. Oxford: Oxford University Press (1989), p. 198.

[4] Dawkins, R. A Devil's Chaplain, London: Weidenfield & Nicolson (2003), p.117

[5] Dawkins, R. The Selfish Gene, 2nd edn. Oxford: 198Oxford University Press (1989), p. (ibid., p. 330 (this passage added in the second edition).

الخاص؟ وما هو الدليل على أن هذه هي الطريقة التي يعرف بها المتدينون الإيمان؟

عند هذه النقطة يخجل دوكينز، ولا يقدم أي كاتب ديني كمثال لإثبات هذا التعريف، والذي يبدو أنه قد تم تصوره بنية متعمدة؛ لجعل الإيمان الديني يبدو وكأنه قطعة من التهريج الفكري.[1]

لا شك أنه ما من لاهوتي يقبل فكرة الإيمان هذه، ولا يوجد كاتب ديني موثوق يتبنى مثل هذا التعريف، إنه تعريف دوكينز الخاص، الذي تم إنشاؤه مع وضع أجندته الخاصة في الاعتبار، ويتم تصويره كما لو كان سمة من سمات أولئك الذين يرغب في انتقادهم.

قد يكون هذا ما يعتقده دوكينز، ولكن ليس ما يعتقده المؤمنون، حيث يقدم ويليام غريفيث توماس (1861-1924)، وهو عالم لاهوت أنجليكاني مرموق في أكسفورد، تعريفاً نموذجياً للإيمان:[2]

"الإيمان" يؤثر على طبيعة الإنسان كلها، يبدأ باقتناع العقل بناءً على أدلة كافية؛ ويستمر في ثقة القلب أو العواطف القائمة على القناعة، ويتوج بموافقة الإرادة، والتي يتم من خلالها التعبير عن القناعة والثقة في السلوك".

وهذا يجمع العناصر الأساسية للفهم الديني للإيمان، وهذا الإيمان "يبدأ باقتناع العقل القائم على الدليل الكافي"، وبالتالي تقع على عاتق دوكينز مسؤولية إثبات أن تعريفه الشاذ وغير المنطقي لـ "الإيمان"، هو سمة من سمات الإيمان الديني، من خلال الحجة القائمة على الأدلة. من الواضح أن دوكينز قد قضى على رجل القش بعد أن أقامه، وهو ليس عملاً صعباً للغاية أو يتطلب بطولة فكرية.

ويقول دوكينز إن الإيمان طفولي، ولا بأس من حشره في أذهان الأطفال الصغار القابلين للتأثر، وعندما تنضج الإنسانية فإنها ستمضي قدماً، وستترك هذه الأوهام وراءها، ويرى دوكينز أن الإيمان بالله يشبه تماماً الإيمان "بسانتا كلوز" و"جنية الأسنان"، وعندما نكبر سنتخلص من هذه المعتقدات.

ولكن لا يتوفر أي دليل تجريبي –من النوع الذي يطالب به دوكينز– على أن الناس يعتبرون "الله" و"سانتا كلوز" و"جنية الأسنان" في نفس الفئة، ومن الواضح أن جميع الناس تتوقف عن الإيمان بسانتا

[1] Dawkins suggests that this definition is found in Tertullian, on the basis of a worryingly superficial engagement with this writer. For details, see McGrath, op. cit. [2], pp. 99-101.

[2] Griffith-Thomas, W. H. The Principles of Theology, London: Longmans, Green & Co. (1930), p. xviii. Faith thus includes 'the certainty of evidence' and the 'certainty of adherence'; it is 'not blind, but intelligent' (pp.xviii-xix).

كلوز وجنية الأسنان، وتكتشف "الله" عندما تكبر، وكما لاحظ ماكغراث أثناء بحثه في شفق الإلحاد، فإن عدداً كبيراً من الناس يؤمنون بالله في وقت متأخر من الحياة عندما "يكبرون"، ولا يوجد أي شخص يؤمن بسانتا كلوز أو جنية الأسنان في وقت متأخر من الحياة.

وإذا كانت حجة دوكينز التبسيطية لها أي معقولية، فإنها تتطلب وجود تشابه حقيقي بين الله وسانتا كلوز، وهو ما لا يوجد بوضوح، فالجميع يعلم أن الناس لا يعتبرون الإيمان بالله، ينتمي إلى نفس فئة مثل هذه المعتقدات الطفولية.

يجادل دوكينز بالطبع، بأن كلاهما يمثل الإيمان بكيانات غير موجودة، لكن هذا يمثل ارتباكاً أولياً للغاية بشأن الاستنتاج والافتراض المسبق للحجة.

إن النموذج التبسيطي الذي اقترحه دوكينز، يعترف بخيارين فقط: احتمال 0٪ (إيمان أعمى)، واحتمال 100٪ (اعتقاد ناتج عن أدلة دامغة)، إلا أن الغالبية العظمى من المعلومات العلمية تحتاج إلى نقاش، من حيث احتمالية الاستنتاجات التي تم التوصل إليها، على أساس الأدلة المتاحة.

على سبيل المثال، اقترح "إليوت سوبر" فكرة "طريقة داروين"، للدفاع عن الأصل الدارويني المشترك، على أساس أوجه التشابه الحالية بين الأنواع،[1] ولكن لا يمكن لهذا النهج أن يعمل إلا على أساس الاحتمال؛ مما يؤدي إلى أحكام احتمالية، فهي محاولة لتقدير مدى موثوقية الاستدلالات.

ولكن أكثر الأشياء اللافتة للنظر حول إلحاد دوكينز، هو الثقة التي يؤكد بها حتميته، إنها ثقة غريبة وفي غير محلها، بالنسبة لأولئك المطلعين على فلسفة العلم. كما أشار ريتشارد فاينمان (1918–1988)، الحائز على جائزة نوبل للفيزياء عام 1965م، عن عمله في الديناميكا الكهربية الكمية، فإن المعرفة العلمية هي جملة من العبارات بدرجات متفاوتة من اليقين، بعضها غير مؤكد، والبعض الآخر شبه مؤكد، لكن لا شيء مؤكد تماماً.[2]

وفي أصل الأنواع قدم داروين تفسيراً للواقع، كان يعتقد أنه أفضل طريقة لفهم العالم، وسمح له بتفسير العديد من السمات المحيرة في العالم، مثل توزع الأنواع ووجود الأعضاء الأثرية، فقد كان داروين يفتقر إلى الموارد اللازمة لإثبات نظريته، لكنه اعتقد أنها معقولة بما يكفي للتمسك بها بثقة، وكان على يقين

[1] Sober, E.R. 'Modus Darwin', *Biology and Philosophy* (1999) 14, 253–278.

[2] See especially Feynman, R.P. What Do You Care What Other People Think? London: Unwin Hyman (1989); Feynman, R.P. The Meaning of It All. London: Penguin (1999).

أنه في يوم من الأيام سيتم حل شذوذها وتقييد أطرافها، فبحكم طبيعة نظريته –لأنها تحتاج إلى إثبات ما حدث في التاريخ– كان التحليل التجريبي مستحيلاً، لكن ما اقترحه بدا له على أنه أفضل تفسير، ولم يتسن التحقق من صحتها، وهذا لم يمنع داروين، من الثقة في نظريته.[1]

وبالتالي فليس الإيمان بالله غير عقلاني، ولكنه يمتلك عقلانيته المتميزة والقوية، ويمثل طريقة مهمة لفهم الأشياء، وباستخدام لغة الفلسفة، فإن الله هو "أفضل تفسير" للطريقة التي عليها الأشياء، إننا جميعاً سواء كنا مؤمنيين أم ملحدين، نبني حياتنا على الأقل على بعض المعتقدات الأساسية، التي نعرف أننا لا نستطيع إثباتها، فهذه هي الطريقة التي تسير بها الأمور.

فإذا ما اختار الداروينيون التشدد تجاه قضايا الدين، فإنهم يشردون عن الطريق المستقيم والمحدَّد للمنهج العلمي، وينتهي بهم الأمر في الأوساط الفلسفية الوعرة، فإما أنه لا يمكن التوصل إلى نتيجة على الإطلاق في مثل هذه المسائل، أو يجب التوصل إليها استناداً إلى أسباب أخرى.

ومن هذه الأسباب ما دأب كثير من العلماء، من المؤمنين وغير المؤمنين على الاستدلال به، واعتباره أحد مصادر العلم الثلاثة: فبالإضافة للحواس السليمة، يعتبر الخبر اليقيني الصادق والعقل، مصدران آخران مفيدان للعلم، وهذا يعني أن الدليل الحسي التجريبي، ليس هو الدليل العلمي الوحيد، بل إن جمهور العلماء يسلمون بصحة هذه المصادر أيضاً، معتبرين أنها أدلة علمية مقبولة، في الاستدلال في القضايا العقلية والتاريخية والدينية، وذلك من حيث أن العلم بمعناه العام هو: إدراك الشيء على ما هو عليه في الواقع بدليل. كما أن أدلة الفلاسفة وعلماء الكلام المسلمين قائمة على الدليل العقلي وحده، وهي الأصل في إثبات وجوده تعالى رداً على المنكرين.

المبحث السادس:

الإيمان والعلم بين الاستدلال الاستنتاجي والدليل التجريبي:

إن نوعية الأدلة التي تقوم عليها نظرية التطور، تُبين أن العلاقة بين الدعوى والدليل هي علاقة منطقية، وليست علاقة تجربة ناتجة عن المشاهدة، لكن نظرية التطور أصبحت بمثابة حقيقة علمية – بالنسبة لعموم المجتمع العلمي – بناء على هذه الأدلة نفسها.

ومع ذلك يبدو أن دوكينز يستنتج الإلحاد من "كتاب الطبيعة"، كما لو كان هو النتيجة الحتمية لمسألة منطقية خالصة، ويجزم بالإلحاد كما لو كان الاستنتاج الوحيد الممكن، من سلسلة من البديهيات، ولكن

[1] تجديد الطبيعة وإنكار الدين 180

كيف يمكن أن يحقق هذا اليقين، في حين أن العلوم الطبيعة ليست استنتاجية في مناهجها؟ وإنما تنطلق بالاستدلال من معطيات الملاحظة، فكيف يمكن لدوكينز أن يكون متأكداً من الإلحاد؟

فالاستنتاج هو بحكم تعريفه، مسألة غير مؤكدة، وقد قام آخرون بفحص نفس الأدلة، وتوصلوا إلى استنتاجات مختلفة تماماً، وكما يتضح فإن إلحاح دوكينز، على أن الإلحاد هو الرؤية العالمية الوحيدة المشروعة للعالم الطبيعي، هو حكم متسرع وخطير وغير موثوق به.

وكما يشير "روجر بيكون" في العديد من كتاباته، فإن جوهر العلوم الطبيعية هو المضي قدماً في الاستقراء، واستنتاج وجود قوانين معينة أو كيانات افتراضية من خلال ما تتم ملاحظته. وفي كثير من الأحيان، لا يمكن إثبات وجودها؛ لأن الأدلة التجريبية الضرورية تتجاوز التكنولوجيا المتاحة حالياً. [1]

إن العقل الحديث لا يحصر دائرة العلم، في تلك الوقائع التي يمكننا تجربتها مباشرة؛ بل يعتبر أن أية قرينة منطقية تستند إلى تجارب ومشاهدات غير مباشرة، يمكنها أيضاً أن تصبح حقيقة علمية، بنفس درجة الحقائق العلمية التي نتمكن من مشاهدتها مباشرة.[2]

والإيمان بالله الخالق يقدم تفسيراً مقنعاً للطريقة التي عليها العالم، ويقدم شرحاً لأشياء كثيرة – مثل ترتيب الطبيعة وقدرة العقل البشري على فهم وتمثيل ذلك – ومع ذلك هناك شذوذات وألغاز وتناقضات واضحة، كمسألة الألم والمعاناة في العالم، والتي تزعج المؤمنين أيضاً إلى حد كبير، ومع ذلك يتمسكون بإيمانهم، معتقدين أن قدرته التفسيرية وتماسكه، كافيان لتبريره وأن الإشكال سيحل يوماً ما.[3]

إذن لا تختلف المورفولوجيا (التشكل) الفكرية لهذه المواقف، فكل منها يمثل مثالاً لما أسماه "جيلبرت هارمان"[4] "استنتاج أفضل تفسير"، والقضية الأساسية هي تحديد أفضل طريقة لفهم مجموعة كبيرة من المواد، وقد وصف فيلسوف العلوم المشهور في القرن التاسع عشر "ويليام ويويل" هذه العملية، من حيث "تأمل المحرِضات"، ويقصد بها العملية التي يتم من خلالها الجمع بين جوانب مختلفة من الخبرة البشرية؛ لإعطاء نظرة متماسكة للعالم، ويمكن القول بأن كلاً من الدارويني والمؤمن، يجمعان عدداً من

---

[1] تجديد الطبيعة وإنكار الدين 163

[2] انظر الدين في مواجهة العلم 21

[3] تجديد الطبيعة وإنكار الدين 180

[4] فيلسوف أمريكي، وأستاذ في جامعة برنستون منذ عام (1963م)، له العديد من المنشورات العلمية في مجالات مختلفة، مثل فلسفة اللغة، والعلوم الاستعرافية، والأخلاقيات، وعلم النفس الأخلاقي، ونظرية المعرفة، ونظرية التعلم الإحصائية، وفي الميتافيزيقيا.

الأدلة المستمدة من مجالات مختلفة من الخبرة، وأن الانتقاء الطبيعي أو الإيمان يمثلان تباعاً تفسيرات جائزة لتلك الأدلة.[1]

وهذا النهج، يتناقض بشكل مباشر مع الاختزالية التي يقوم بها دوكينز وآخرون، الذين يشجعون الأساليب الإمبريالية في العلوم، من خلال محاولتهم رد المفاهيم المركزية، في مجالات مثل علم النفس والدين والفن والأخلاق، إلى مفاهيم على المستوى الجزئي، مثل مفاهيم علم الوراثة والبيولوجيا الجزيئية.[2]

لكن الحقيقة المحرجة التي يبدو أن دوكينز متردد في الاعتراف بها، هي أن هناك الكثير من العقلاء والأذكياء، يستخلصون استنتاجات تختلف تماماً عن وجهة نظره، بنفس الالتزام الخاضع للأدلة العلمية.[3]

إن النظرة المادية – التي يمثلها دوكينز – حين يتعذر عليها تفسير الحقائق الروحية بلغة المادة وحدها، تفزع في الغالب إلى المستقبل، مفترضة أن الجواب سيأتي بعد قرن أو قرنين آخرين من البحوث، وهذا ما يسميه إكلس "مادية وعود مسرفة وغير قابلة للإنجاز".[4]

الخاتمة والنتائج:

يمكن تصنيف قراءة دوكينز للنظام الطبيعي، ضمن الوضعية العلمية المناهضة للميتافيزيقيا والمعادية للدين، والتي لا تزال قائمة بوضوح في بعض أقسام مجتمع علماء الطبيعة، ومن خلال هذا العرض الموجز لهذا النهج المتشدد في العلم، يمكن استخلاص بعض النتائج المهمة في ختام هذا البحث:

- إن العلم بمعناه العام هو نشاط إنساني تراكمي، ليس له منهج وحيد ولا معيار محدد، أما العلم "الطبيعي" فهو مقيد بمعطيات الملاحظة، من خلال منهجيته الذاتية، للتعامل فقط مع الواقع المدرَك بشكل حسي، وبالتالي فهو قاصر في المسائل التي تقع وراءه، كإثبات أو نفي معنى الحياة أو الغاية أو وجود الله، كما أن العلم المجرد لا يقدم أي أساس لتحديد ما هو خير أو شر.
- أن المعرفة الحسية ليست كل شيء، بل تكمن وراءها حقائق أخرى لا سبيل للحواس إلى إدراكها،

[1] انظر تجديد الطبيعة وإنكار الدين 180

[2] يعرف رد الحالات الذهنية إلى الحالات الفيزيائية بـ "الاختزالية"، ويعود هذا المفهوم إلى المدرسة السلوكية وعلم النفس السلوكي. انظر الميمياء 415، وتجديد الطبيعة وإنكار الدين 180–181

[3] انظر إله دوكينز

[4] انظر العلم في منظوره الجديد 128

وسبيلنا إلى تلك الحقائق هو "الاستنباط"، الذي يقوم على أساس الوقائع المحسوسة المتاحة، وأن اللاإرادية في العلم ليست معتقداً بل منهجاً مفاده: أنه في شؤون العقل، لا يمكن التظاهر بأن الاستنتاجات غير المثبتة أو غير القابلة للإثبات يقينية.

- لا بد للعلم من أن يتكئ على مبدأ الإيمان، وداروين الذي يعده دوكينز مثلاً أعلى اعترف يوماً ما، أنه لم يستطع أن يثبت صحة فرضية التطور رغم تيقنه منها، ومن المعلوم على مدى عدة عقود، أن علماء الفيزياء يؤمنون بنظرية النسبية لأينشتاين، رغم عدم التثبت منها على نحو محدد وقاطع.
- خلافاً لما يتبناه الإلحاد الجديد، فالعلم ينهض على الإيمان والحدس والرؤية الجمالية، ويضاف إليها العقل، ولا بد للمنطق الصارم المنضبط أن تسبقه اجتهادات عدة، والتي لا بد لها من قناعات جمالية أيضاً.
- ليس لدى العلماء المؤمنون أي مشكلة مع التفسيرات العلمية، إنما كانت انتقاداتهم موجهة ضد أولئك الذين أصروا على هذه المادية الضيقة، لكن رفض دوكينز الصريح لأي بُعدٍ متعال للحياة، ينطوي على مادية اختزالية، تنكر الدين وتؤدي إلى قمع التوق الإنساني إلى المتعالي، باعتباره نوعاً من الدجل أو الشعوذة أو الخرافات، وبذلك فهو ينكر صحة الأسئلة والتجارب الإنسانية في البحث عن المتعالي، والتي تؤكدها الأدلة والبيانات التجريبية.
- إن خطر المنهج العلمي المجرد الذي ينكر أي احتمال للمتسامي، يكمن في تحوله إلى صنم يسعى لتدمير كل معارضيه، وهو ما نلمحه في الفكر الإلحادي الجديد.[1]

[1] انظر الله لماذا 469

المراجع:

- إله دوكينز، أليستر ماكغراث، وهو كتاب قيد الترجمة لكاتب البحث.
- الداروينية الجديدة صانع الساعات الأعمى، ريتشارد دوكينز، ترجمة: د. مصطفى فهمي، الطبعة الثانية 2002م، دار العين للنشر.
- الدين في مواجهة العلم، وحيد الدين خان، ترجمة: ظفر الإسلام خان، دار النفائس، الطبعة الأولى–الرابعة 1981–1987م.
- العلم في منظوره الجديد، روبرت أغروس–جورج ستانسيو، ترجمة: د. كمال خلايلي، ضمن سلسلة عالم المعرفة رقم (134).
- فلسفة العلم، روزنبرغ أليكس، ترجمة: أحمد السماحي وفتح الله الشيخ، المركز القومي للترجمة–القاهرة، الطبعة الأولى 2011م.
- لغة الإله، فرانسيس كولنز، ترجمة: د. صلاح الفضلي، الطبعة الأولى 2016م.
- لماذا الدين ضرورة حتمية–مصير الروح الإنسانية في عصر الإلحاد، د. هوستن سميث، ترجمة: سعد رستم، دار الجسور الثقافية.
- الله لماذا، كارن آرمسترونغ، ترجمة: فاطمة نصر–هبة عارف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2010م.
- وهم الإله–الأصولية الملحدة وإنكار الإله، أليستر ماكغراث–جوانا ماكغراث، ترجمة: محمد عودة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، الطبعة الأولى 2017م.
- وهم دوكينز، ماكغراث أليستر– جوانا ماكغراث، ترجمة: محمد عودة، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، الطبعة الأولى: 2017م–1438هـ.

- ALEXANDER D and NUMBERS R., 2010 - Biology And Ideology. The University of Chicago Press, London 2010.
- ALISTER MCGRATH, THE REENCHANTMENT OF NATURE, Doubleday/Galioo, New York London Toronto Sydney Auckland 2002.
- Collins, F.S. 'Faith and the Human Genome', Perspectives on Science and Christian Faith (2003).
- Dawkins, R. A Devil's Chaplain, London: Weidenfield & Nicolson (2003).
- Dawkins, R. Climbing Mount Improbable, London: Viking (1996).
- Dawkins, R. River out of Eden: A Darwinian View of Life, London: Phoenix (1995).

- Dawkins, R. The Selfish Gene, 2nd edn. Oxford: Oxford University Press (1989).
- Feynman, R.P. What Do You Care What Other People Think? London: Unwin Hyman (1989); Feynman, R.P. The Meaning of It All. London: Penguin (1999).
- Griffith-Thomas, W. H. The Principles of Theology, London: Longmans, Green & Co. (1930).
- Sober, E.R. 'Modus Darwin', Biology and Philosophy (1999).